النقد الأدبي

في القرنين الثاني والثالث

— ٢ —

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

طبقة علماء اللغة وأثرهم في النقد :

كان هؤلاء كلهم أو جلهم يؤثرون الشعر القديم ، ومنهم : أبو العميثل المتوفى ٢٤٠ هـ ، وابن السكيت م ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم السجستاني م ٢٥٥ هـ ، وأبو الفضل الرياشي م ٢٥٧ هـ ، والسكري م ٢٧٥ هـ ، والمبرد م ٢٨٥هـ ، وثعلب م ٢٩١ هـ . وأظهرهم أثراً في ذلك المبرد الذي حفظ « الكامل » كثيراً من آرائه في النقد :

وأهم ما في الكامل للمبرد دراسته للخطبة وعرضه لكثير من شواهده [١] ، وهذا الباب كله نقد أدبي جيد ، ويذكر المبرد كثيراً من السرقات الأدبية في كتابه ، ويذكر كثيراً من آراء القدامى في النقد والموازنة ، ويعيد بابن مناذر ورثيته « كل حي لاق الحمام فودي » [٢] ، والمبرد لا يتعصب لقديم على محدث ويرى أنه « ليس لقدم العهد بفضل القائل ولا لحداثة عهد يتهم المصيب ولكن يعطي كلاً ما يستحق » [٣] ، ولذلك ضمن كتابه كثيراً من شعر المحدثين ، وعقد بابين لأشعارهم خاصة [٤] ، ورأى أنها أشكل بالعصر [٥] ، ويروي شعراً لأبي تمام ويقول : « وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث » [٦] ، وذكر مكانة الخنساء وليلى الأخيلية في الشعر [٧] ، ونقد قول الشماخ :

---

(١) الكامل ص ٣٥ — ١٠١ جـ ٢ (٢) الكامل ص ٢٨٨ جـ ٢ (٣) الكامل ص ١٨ جـ ١
(٤) الكامل ٣٠٧ — ٣١٢ جـ ٢ ومن ٢٣٣ — ٢٦١ جـ ١ (٥) الكامل ٢٣٣ جـ ١
(٦) الكامل ٢٦٠ جـ ٢ ، وقصد مناقشة أدبية بينه وبين ابن دوستويه حول معنى لأبي تمام ازهر الآداب ص ٢٣٩ و ٢٤٠ — ٢ (٧) الكامل ص ٢٧٩ جـ ٢

إذا بلغتني وحملت رحلي عراية فاعرفي ندم البنان [1]

وإجماع النقاد على تقديم قوله في هذا البيت :

أهيم بعدك ما عشت وإن أمت أوكل بفؤادي من يهيم بها بعدي [2]

ويذكر محمد آل حمدان الدوايي حفصة في الشعر [3] ، كما يذكر بعض المعاني الجديدة في شعر أبي نواس [4] ، ويعيب [5] قوله :

كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره

ويذكر وجهاً لتخريجه .

وعلى أي حال فثقافة اللغويين في النقد كانت قليلة بالنسبة لأدباء الكتّاب وعلماء النقد [6] ، وسئل البحتري عن مسلم وأبي نواس أيهما أشعر ، فقال : مسلم لأنه يتصرف في كل فن ، فقيل له إن أصلاً لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقه [7] ، وقال البحتري لصديق له أراد التوجه لأبي العباس [8] ليقرأ عليه شيئاً من الشعر : رأيت أبا عباسكم هذا فما رأيته ناقداً للشعر ولا مميزاً له ورأيته يستجيد شيئاً وما هو بأفضل الشعر [9]

*

وأما النقاد من ذوي الثقافات الحديثة في النقد والذين تأثروا بالثقافة اليونانية فأشهرهم قدامة بن جعفر ، [٢٦٦ — ٣٣٧ هـ] [10] ، وله كتاب « نقد الشعر » الذي فصل فيه مذهبه في النقد أتم تفصيل مما احتذى فيه حذو أرسطو في كتاب الخطابة الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، ونجد أثر أرسطو

(١) الكامل ص ٧٢ ج ١ (٢) الرجز نفسه ص ١٠٦ ج ١ ، وذكر الجاحظ أن صالح بن سليمان قال : أحق الشعراء الذي قال : « أهيم بعدك — البيت » (البيان ص ٢١٧ ج ٣) (٣) الكامل ص ١٥٤ ج ١ (٤) الكامل ص ٩٤ ج ٢ . (٥) الكامل ص ٢٤٣ و ٢٤٤ ج ١ .

(٦) راجع كلمة الجاحظ في ذلك في ص ٤ و ٥ « الكشف عن مساوىء شعر المتنبي »

(٧) دلائل الاعجاز ص ١٩٠ والكشف ص ٥ واعجاز القرآن ص ١٠١ والمسدس ٩٦ ج ٢ (٨) لعله يزيد ثعلباً ، وأبو العباس لقب المبرد وثعلب (٩) الدلائل ص ١١٥ (١٠) أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء وممن يشار إليه في علم المنطق وأسلم على يد المكتفي (٢٠٣ — ٢٠٥ ج ٦ معجم الادباء ١٨٨٦ فهرست) ، وله ترجمة مشابهة كذلك في تاريخ بغداد ، وله تفسير بعض المقالة الاخرى لارسطو (راجع كشف الظنون ص ٣٤ ج ٢) وكثير من المؤلفات .

واضحاً عند قدامة في كلامه على الصفات النفسية التي جعلها أمهات الفضائل وذكر أن المدح الجيد لا يكون إلا بها [1] ، وفي سوى ذلك من بحوث الكتاب ، ويرى قدامة أن الرثاء كالمديح في وقوعه بهذه الصفات [2] ، وأن الهجاء ضد المدح ولا يكون إلا بأضدادها [3] ، وهذا وغيره من كثير من بحوث الكتاب أثر لثقافة قدامة المنطقية التي تزل في مواضع الذوق والاحساس والشعور في النقد وفهم الشعر والأدب ، وعناصر الشعر عند قدامة اللفظ والمعنى والوزن والقافية وما تركب منها [4] ، ثم يذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر من هذه العناصر في نظم الشعر ، ويرى أن اضداد هذه الامور هي أسباب الرداءة في النظم ، ويحتم على الشاعر أن ينظم الشعر متبعاً لاسباب الجودة وحذراً من الرداءة وأسبابها ، والناقد يحكم على سوء هذا النهج نفسه فيرى مواطن الخلل والعيب في شعر الشاعر سواء في ألفاظه وأساليبه أو في معانيه أو في أوزانه أو قوافيه أو في سوى ذلك مما تركب منها ، فيحكم عليه أو له بالرداءة أو الجودة والاحسان ، وهذا نهج عقلي واضح ولكنه في تقييده الشعر بهذه القيود الثقيلة وفي تطبيقه على هذه الأصول التي رسمها في كتابه يخطىء كثيراً ... وقد ألف الآمدي كتاباً في « تبيين غلط قدامة في نقد الشعر » وأهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه وكتب خطه عام ٣٦٥ هـ [5] ، كما نقده كثير من علماء النقد والأدب في شتى العصور ...

(١) نقد الشعر ص ٣٩ — ٤١

(٢) نقد الشعر ص ٥٩ ، الصناعتين ص ١٢٦

(٣) نقد الشعر ص ٥٥ ، وقول عبد الصمد بن المعذل م ٢٤٠ هـ : الشعر كله في ثلاث لطائف وليس كل إنسان يحسن تأليفها : فاذا مدحت فلك أن تكذب ، وإذا هجوت فلك أن تفحش ، وإذا رثيت فلك أن تحزن (العمدة ص ١٠٣ ج ١) ، وهذا أساس نظرية قدامة ، وأيدها أبو هلال وابن رشيق في كتابيهما : الصناعتين والعمدة .

(٤) راجع نقد الشعر ص ١٣ ، ومثل ذلك في العمدة ص ٩٩ ج ١

(٥) معجم الأدباء ، من ترجمة الآمدي ص ٥٨ ج ٣ .